

رسالة إلى

طلال بن جعفر

تأليف

د. محمد بن إبراهيم المحمد



دار ابن الجوزي

رسالة إلى

طالب نجف

بِحَمْيَعِ الْحُقُوقِ وَالْمُفْتَظَّةِ

الطبعة الأولى

ـ ١٤٣٨

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٣٨هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب
أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي
نظام بيكمانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته
إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطوي مسبق من الناشر.



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣ - ٢٩٥٧، ص ب:
الرمز البريدي: ٢٢٢٥٣ - الرقم الإضافي: ٨٤٠٦ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨
جِزَال: ٥٠٣٨٥٧٩٨٨ - الإِحْسَاء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جِلَة: ت: ٦٨١٣٧٦ - بِيرُوٽ
هَافَن: ٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - الْقَاهْرَة - جِمَع - مَحْمُول: ١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨
تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٩٧٠ - الإِسْكَنْدَرِيَّة - ٠١٦٩٥٧٧٣ - البريد الإلكتروني:

aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلوة والسلام على أشرف خلق الله،
نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد:

فهذه هي الطبعة الخامسة من: «رسالة إلى طالب
نجيب» وقد حوت على زيادات، وتعديلات؛ فأسأل الله
- بأسمائه الحسنى، وصفاته العلي - أن ينفع بها، وأن يجعلها
خالصة لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وآله وصحبه أجمعين.

د. محمد بن إبراهيم الحمد

الزلفي ص. ب: ٤٦٠

١٤٣٧/١/١٤ هـ

جامعة القصيم - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

www.toislam.net

alhamad@toislam.net

[@m__alhamad](https://www.instagram.com/m.alhamad)

المقدمة

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله وعلى آله
وصحبه ومن والاه؛ وبعد:
في بينما كنت أقلب أوراقاً قديمة وجدت من بينها صورةً
لرسالة كتبتها منذ فترةٍ لطالبٍ نجيبٍ.

وعندما اطلعت على تلك الرسالة بدا لي أن تنشر؛
رجاء عموم النفع، ولقلة الرسائل التي توجه إلى الطلاب
النجباء.

فها هي الرسالة مع بعض التعديلات البسيطة، أو جهها
لإخواني الطلاب سائلاً المولى أن ينفع بها، ويجعلها في
موازين الحسنات يوم نلقاه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآلـه وصحبه.

١٤١٦/٤/٧



رسالة إلى طالب نجيب

الأخ الحبيب، والطالب النجيب ...

وفقه الله، وسدد على الخير خطاه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فأزف إليك تحيّةً أرقَّ من النسيم العليل، وأندِي من الشَّمَّال البَلِيل، وأكتب إليك هذه الكلمات التي ملؤها الحُبُّ والودُّ، والإشراق، والتأمِيل.

أخي الحبيب: أكتب هذه الكلمات محبًا لك؛ لأنك مسلمٌ، وللمسلم على أخيه المسلم حقٌّ عظيمٌ، ولعل واجب النصيحة أعظمُ ما يبذل من حق.

وأكتبها مشفقًا عليك من نزعات الشيطان، ومن شرّ نزعات النفس، وصحبة الأشرار.

ومؤملاً فيك الخير الكثير، والمجد والسؤدد، والرُّفعة والعلو.

ومذكراً لك بعض النعم التي لا تزال تتراء إليك،

وتترادفُ عليك؛ فلقد أنعمَ اللَّهُ عليك بنعمَ جُلَّى، وامتنَّ
عليك بمنْ كبرى، تستوجبُ الشُّكر؛ لتدِرَّ وتقرَّ.

لقد مَنَّ اللَّهُ عليك قبلَ كلِّ شيءٍ بالإسلام، وأيُّ نعمةٍ
أجَلُّ وأعظَمُ من تلك النعمة! ومنَّ عليك بالعلم، فيسَرَ لك
طريقَه، وأعانَك على سلوكِ سبيله، و«من يُرِدَ اللَّهُ به خيراً
يُفَقِّهُ في الدين».

وإنَّ من شكر تلك النعم أن تَرْنُو للأمثال، وتهفوَ
للأكمل، وألا تلتفتَ إلى الوراء، ولا تقنع بما دون السماء.
وإنَّني من خلال الأسطر التالية موصيك بأمور، أنا والله
أحوجُ منك إليها، ولكنَّي أملَّ ألا أحرمَ رؤيتها مائلاً في
شخص من أحبُّ، وأودُّ له كلَّ خيرٍ وفلاحٍ، وإليك هذه
الوصايا:

١ - التقوى: فتقوىُ اللَّهُ هي جمَاعُ الأمر، وهي أَسْ
الفلاح، ورَأْسُ النجاح، وهي العُدَّةُ في الشدائِدِ، والعون
في الملمات، وهي مهبطُ الرَّوح والطمأنينة، ومتنزل
الصبر والسكينة، وهي مرقةُ العز، ومعراجُ السمو إلى

السماء، وهي التي تثبت الأقدام في المزالق، وترتبط على القلوب في الفتنة؛ فالزمها، وصيّرها لنفسك رأس مال، فهي خير لباس تزيّنت به، وخير بضاعة ملكتها يداك.

٢ - الصبر والمصايرة، والجد والمثابرة: فالله الله

بالصبر؛ فالصبر دواء ناجعٌ، وعلاجٌ نافع، فما أطيب عوائده، وما أكثر فوائده؛ فاصبر على طاعة الله، واصبر عن معصية الله، واصبر على قدر الله، واصبر ثم اصبر على طلب العلم، واعلم أن من لم يعرّف في طلب العلم جبينه - لم يعرّف في مدارج الكمال، ومراتب الفضيلة. ولله در العالم الحبر، والإمام البحر، محمد بن إدريس

الشافعي رحمه الله إذ يقول:

فإن رسوب العلم في نفراته
تجزّع ذلة الجهل طول حياته
فكبر عليه أربعًا لوفاته
إذا لم يكونوا لا اعتبار لذاته

اصبر على مرّ الجفا من معلم
ومن لم يذق مرّ التعلّم ساعةً
ومن فاته التعليم وقت شبابه
وذات الفتى والله في العلم والتقوى

ورحم الله الرافعي حين قال:

ومن يَجِدُ يَجِدُ والنفس إن تعبت
 فربما راحه جاءت من التعب
 ويل لمن عاش في لهو وفي لعب
 فمِيْتَهُ الْمَجِدُ بَيْنَ الْلَّهُوِ وَاللَّعْبِ
 وحين قال حاثا على اطراح الكسل، موصيا بالجد:
 غير أن الكسول في كل يوم
 يجد اليوم كل أهواه
 ويرى الكتب والدفاتر والأق
 سلام والدرس كلها أحمالا
 من يقم بالأمور بالجد يهنا
 والشقا للذين «قاموا كسالى»
 وقال:
 لقد كذب الآمال منْ كان كسانا
 وأجذر بالآحلام من بات وسنانا

ومن لم يعاني الجدّ في كل أمره
 رأى كلَّ أمرٍ بالعواقب خذلانا
 فمن كان مقداماً فقد فاز جدُّه
 وباء بكل الويل من ظل حيرانا

٣ - تجحيل المعلمين واحترامهم: فالله الله باحترام كل معلم لك، ولو كان ناقصاً في نظرك، فخذْ ما عنده من خير، وعلىك بتتجحيله، وتوجيهه، والدعاء له، والثناء عليه، وإنما فلا أقلَّ من أن تُقْصرَ عن ذمَّه وعييه.

ثم إن وقع المعلم في خطأً ما، وأردت لفت نظره إلى ذلك - فلا تقل: أخطأتَ، أو نحو ذلك، وإنما ليكن تنبيهُك بأجمل عبارة، وألطف إشارة، يدرك بها المعلم خطأه، دون أن تُشوّش عليه قلبَه.

ولو أقيمت نظرة في كتب أدب الطلب ككتاب الجامع للخطيب، وتنذكرة السامع والمتكلِّم لابن جماعة، وتعليم المتعلِّم طرق التعلم للزرنوخي، وأدب الطلب للشوكاني، لرأيت تلك الآداب مبسوطة كل البساط؛ فالطلبة في دستور

الإسلام كانوا يقابلون العطف الأبوى من المعلمين بما يكافئهم من محبة وإجلال، ومن أقدم الأمثلة على ذلك ما رواه الشعبي أن زيد بن ثابت رضي الله عنه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جنازة، ثم قربت إليه بغلته؛ ليركبها؛ فبادر إليه عبد الله بن عباس، فأخذ بزمام البغلة؛ ليساعده على الركوب، فقال له زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله، فأجابه ابن عباس - رضي الله عنهما - هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء.

وقد حافظ ذرية ابن عباس على هذا الأدب من التلاميذ نحو أساتذتهم بعد أن صار بنو العباس ملوك الدنيا؛ فقد نقل برهان الإسلام الزرنوجي، في كتاب «تعليم المتعلم طرق التعلم»: «أن أمير المؤمنين هارون الرشيد بعث ابنه إلى الأصمسي؛ ليعمله العلم والأدب، فرأاه يوماً يتوضأ ويغسل رجله، وابن الخليفة يصب الماء على رجله، فعاتب الخليفة الأصمسي بقوله: إنما بعثته إليك لتعلمك و-tone به؛ فلماذا لم تأمره بأن يصب الماء بإحدى يديه، ويغسل بالأخرى رجلك؟»^(١).

(١) تعليم المتعلم طرق التعلم للزرنوجي ص ٨٢

فانظر كيف رأى أن تقصير ابنه في ذلك تقصير في أدب التلميذ مع أستاذة.

وقد علمنا من سيرة ابن خلدون أنه لما رزئ بوفاة كبار شيوخه وكان منهم القاضي محمد بن عبدالسلام، والرئيس أبو محمد الحضرمي، والعلامة محمد بن إبراهيم الأبلبي - ضاق به وطنه؛ فترك مقامه الوجيه الذي وصل إليه في قصر الإمارة، ورحل عن تونس إلى الجزائر والمغرب الأقصى؛ لأن مقام أستادته كان في نفسه فوق كل مقام.

وهذه المحبة الصحيحة التي يكنها التلميذ لأستاذة هي التي حملت العالم أحمد بن القاضي على أن يقول في شيخه المنجوري: «وصارت الدنيا تصغر بين عيني، كلما ذكرت أكل التراب للسانه، والدود لبنانه».

ومن ذلك قول ابن عرفة:

إذالم يكن في مجلس الدرس

وإيضاً إشكار بأحسن صورة

وَعَزْوَ غَرِيبُ النَّقْلِ أَوْ حَلُّ مُقْفَلٍ
أَوْ إِسْكَالُ أَبْدَثُ نَتْيَجَةً فَكْرَةً

فَدَغْ سَعْيَهُ وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَاجْتَهَدْ

وَلَا تَرْكِنْ فَالْتَرْكُ أَقْبَحُ خَلَّةً

الْأَبْيَاتُ، فِي جَيْبِهِ تَلْمِيذَهُ الْأَبْيَ بِقَوْلِهِ:

يَمِينًا بِمَنْ أَوْلَاكَ فِي الْعِلْمِ رَتْبَةً

وَزَانْ بِكَ الدُّنْيَا بِأَحْسَنِ زِينَةٍ

لِمَجْلِسِكَ الْأَعْلَى كَفِيلٌ بِكُلِّهَا

عَلَىٰ حِينَما عَنِّهِ الْمَجَالِسُ وَلتَ^(١)

وَهَذِهِ مَقْطُوْعَةٌ بِعَنْوَانٍ «رَفِقاً بِهَا»، وَقَدْ قَالَهَا الشَّيْخُ
مُحَمَّدُ الْخَضْرُ حُسْنِي فِي تُونِسٍ مَدَاعِبًا أَسْتَاذَهُ الشَّيْخُ سَالِمُ
بْوْ حَاجِبٍ بَعْدِ دَرْسٍ تَعَرَّضَ فِيهِ إِلَىٰ حُكْمِ التَّضْحِيَةِ
بِالظُّبَاءِ:

(١) انظر أحاديث في رحاب الأزهر للشيخ محمد الخضر حسين ص . ٩٢ - ٩٥

مَدَّ في وجْرَةِ الْحِبَالَةِ يَبْغِي
 قَنَصًا وَالظُّبَاءِ ترْقَعُ مَرْحَى^(١)
 صَادَهَا ظَبِيَّةً وَهَمَّ بَأْنِ يَصْ
 سَرَعَهَا كَالخِرْوَفِ فِي عِيدِ أَضْحَى
 قَلْتَ: رَفْقًا بِهَا وَلَا تُرْهِقْنَاهَا
 وَهِيَ تَرْنُوا إِلَيْكِ صَرْعًا وَذِبْحًا
 مَا أَظْنَ السَّكِينَ تَرْضَى وَفِيهَا
 حِلَّةً أَنْ تَخْطُطَ فِي الْجَيْدِ جَرْحًا
 خَلَّ عَنْهَا فَعَيْنَهَا أَذْكَرْتَنَا

عَيْنَ أَسْمَاءَ وَهِيَ بِالْبَشَرِ طَفْحَى^(٢)

٤ - سلامَةُ الذوقِ: فالذوقُ كُلْمَةٌ جَمِيلَةٌ مُؤْجِيَّةٌ تَحْمِلُ
 فِي طِياتِهَا معانِي اللطَّافِ، وَحُسْنِ المَعْشَرِ، وَكَمَالِ التَّهْذِيبِ،
 وَحُسْنِ التَّصْرِيفِ، وَتَجْنِبُ مَا يَمْنَعُ مِنَ الإِحْرَاجِ وَجَرْحِ

(١) وجْرَة: مَرْقَعُ لِلْوَحْشِ، وَالْحِبَالَةُ: الْمَصِيدَةُ، وَالْقَنَصُ: الصَّيْدُ.

(٢) خواطر الحياة ديوان محمد الخضر حسين ص ٦٩.

الإحساسات بلفظ، أو إشارة أو نحو ذلك.
فهذه المعاني وما جرى مجرها تفسّر لنا كلمة الذوق،
وإن لم تفسّرها المعاجم بهذا التفسير الملائم لما تعارف
عليه الناس، وجرى بينهم مجرى العرف؛ فترأه إذا أرادوا
الثناء على شخص بما يحمله من المعاني السابقة قالوا:
فلان عنده ذوق، أو هو صاحب ذوق.

وإذا أرادوا ذمّه قالوا: فلان قليل الذوق، أو ليس عنده
ذوق، وهكذا...

فالذوق بهذا الاعتبار داخل في المعنيات أكثر من
دخوله في الحسّيات كذوق الطعام والشراب.
وموطن الذوق في المعنيات يدور حول العقل،
والروح، والقلب.

وإن من علامات السعادة للإنسان أن يرزق ذوقاً سليماً
مهذباً؛ فإنه إذا كان كذلك عَرَفَ كيف يستمتع بالحياة،
وكيف يحترم شعور الآخرين ولا ينفص عليهم، بل يدخل
السرور عليهم؛ فصاحب الذوق السليم قادر على

استجلاب القلوب، وإدخال السرور على نفسه وعلى من حوله.

إن الذوق السليم في الإنسان يرفعه إلى حد أن يتخير الكلمة اللطيفة، والتصرف الملائم الذي يمنع الإحراج، ويدخل السرور على الآخرين.

بل إن صاحب الذوق السليم يأبى النزاع، وحدة الغضب.

ولا يبالغ الإنسان إذا قال: إن رُقيَّ الذوق أكثر أثراً في السعادة من رقي العقل؛ إن الذوق إذا رَقِيَ أَنْفَ من الأفعال الخسيسة، والأقوال النابية، والأفعال السخيفة.

فَحَقِيقٌ عَلَى الطَّالِبِ أَنْ يَرَاعِيَ الذُّوْقَ فِي شَتِّي أَمْوَارِهِ، فَيَرَاعِيهُ فِي مَشِيَّتِهِ، فَيَكُونُ ذَا أَنَاءً وَتَؤْدِهِ؛ فَلَا يَبِدُو فِي حَرْكَتِهِ اضْطِرَابٌ أَوْ عَجْلَةً كَأَنْ يَكْثُرَ الالْتِفَاتُ، أَوْ يَعْجَلُ فِي مَشِيَّتِهِ عَجْلَةً خَارِجَةً عَنْ حَدِ الْاعْتِدَالِ؛ وَلَا يَمْشِي مِشِيَّةً المَتَماوِّتِ التَّقْيِيلِ الْبَارِدِ.

أما السرعة بمعنى عدم التباطؤ فدليل الحزم، ومن

مقوّمات الذوق والمروءة.

ويراعي الذوق في ملبيه، فيلبس ما يليق بحاله وأمثاله،
وما جرت العادة بلبسه.

ويراعي الذوق في مكتبه، ومكان جلوسه للعلم، وهيئة
كتبه، ودفاتره.

ويراعي الذوق في المحافظة على المرافق العامة
لمكان تعليمه من جدران، ومكتبة، وأماكن وضوء
ونحوها؛ فيحرص على جمالها، وصلاحها فضلاً أن
يكتب فيها ما يشين، وينافي الذوق.

ويراعي الذوق في إغلاق جواله إذا دخل قاعة الدرس،
ويراعيه في التبشير للحضور، وفي أداء الواجبات إلى غير
ذلك مما مضى وما سيرد ذكره في فقرات آتية.

٥ - الحرص على الاستفادة: فالعالق اللبيب يحرص
على الإفادة من كل أحد؛ فيستفيد الأدب، وحسن الخلق،
وحسن السمعت والهدي من الأتقياء، والكرماء، وأهل
المرءات.

بل ويفيد من الحمقى، وسيئي الأخلاق، وذلك بأن يستشعر قبح صنيعهم، ويتجنب كل ما يفضي إلى التخلق بأخلاقهم.

بل إن العاقل الفطن يستفيد حتى من الحيوانات، كما قال ذلك غير واحد من أهل العلم أخذًا من قوله - تعالى - : **﴿وَمَا مِنْ دَبَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَالُكُمْ﴾** [الأنعام: ٣٨].

قال بعض أهل العلم: إن الشبه بينبني آدم والبهائم إنما هو في الطباع، فمنهم من يتطوس كالطاووس، ومنهم من يهتصر اهتصار الأسد، ومنهم من همتته كالجعلان... وهكذا.

قيل لأحد العقلاة: ممن استفدت السماحة والكرم؟
قال: مِنَ الديك؛ يُلقى له الحَبُّ، فلا تطيب نفسه حتى يحْمَعَ دجاجاته ويُفَرِّقَ الحَبَّ بينها.

وقيل لأحدهم: ممن تعلمت عِزَّةَ النَّفْسِ؟ قال: من أشراف الأسود وكرامها؛ فإنها لو جَهَدَها الجوع لم تأكل

من فريسة غيرها.

وقيل لآخر: ممن تعلمت الحرص؟ قال: من النملة، وهكذا دواليك..

٦ - المحافظة على الوقت: فالوقت رأس مالك، وهو أَجَلٌ ما عنيت بحفظه، والحكيم الخبير من يُقْدِرُ الوقت حق قدره، ولا يتخذه وعاءً لأبخس الأشياء، أو أسفف الكلام، ويعلم أنه أَجَلٌ شيء يصان عن الإضاعة والإهمال، ويَقْصُرُه على المساعي الحميدة التي ترضي الله، وتنفع الناس.

أما من كتب على نفسه البطالة فقد رضي لها بأسوأ الحرف، وأخسها؛ إذ لا صُنْعَ لهذا المحترف غالباً إلا التمضمض بكلمات التشنيع، والتسلط على ما يفعله غيره وإن غَزِّرَتْ فائدته، ولا تراه إلا متربداً على المجالس التي تساق إليها بضائع اللهو؛ ليكون أحد الحاملين لأسفارها.

٧ - علو الهمة: فلا تنظر إلى من هو دونك في أمور الدين والعلم وسائر الفضائل، بل انظر إلى من هو أعلى

منك، ولا تنظر إلى من هو أعلى منك في المال، والصحة، والجاه، بل انظر إلى من هو دونك.

فكن متطلباً للكمالات، ناشداً للمعالى، متجافياً عن سفساف الأمور، ومرذول الأخلاق.

ولا تشغل نفسك بتوافقه الأمور ومحقراتها؛ فإن هذا يعوق سيرك، ويحط من قدرك.

إذا ما علا المرءُ رام العُلا ويقنع بالدون من كان دونا

٨- شرف النفس: فذلك يوجب لك أن تتأي عن الأسباب التي تحطها، وتضع قدرها، وتخفض منزلتها، وتحقرّها، وتسوّي بينها وبين السفلة؛ وإنما تعلو قيمة المرء، وتسمو مكانته بقدر نصيه من بُعد الهمة، وشرف النفس.

وإذا علِمْتَ نفسُ طاب عنصرها، وشَرُفَ وجْدُانُها أن مطمح الهمم إنما هي غاية، وحياةٌ وراء حياتها الطبيعية - لم تقف عند حدّ غذاء يقوّتها، وكساءٍ يسترها، ومسكنٍ تأوي إليه.

بل لا تستفيق جهدها، ولا يطمئن بها قرارها إلا إذا
بلغت مجدًا يصعب بها إلى أن تختلط بكونك الجوزاء.

قال منصور الهروي:

خَلَقْتُ أَبِيَ النَّفْسِ لَا تَبْعَدُ الْهَوَى
وَلَا أَسْتَقِي إِلَّا مِنَ الْمَشْرِبِ الْأَصْفَى
وَلَا أَحْمَلُ الْأَثْقَالَ فِي طَلْبِ الْعَلا
وَلَا أَبْتَغِي مَعْرُوفَ مِنْ سَامِنِي خَسْفَا
وَلَسْتُ عَلَى طَبِيعَ الذَّبَابِ مُتَى يُذَذْ

عَنِ الشَّيْءِ يَسْقُطُ فِيهِ وَهُوَ يَرَى الْحَتْفَا

٩ - العفة العفة: فهي تتولد من الحياة من الله، ومن
شرف النفس وزكائها، وحميتها، وأنفتها.

ومن العفة ألا تكون عبداً لشهواتك، مسترسلًا مع كافة
رغباتك؛ فالنفس لا تقف عند حدٍ.

وَمَنْ يُطْعِمُ النَّفْسَ مَا تَشْتَهِي

كَمَنْ يُطْعِمُ النَّارَ جَزْلَ الْحَطْبِ

ولا يكون من وراء اتباع الشهوات إلا إذلال النفس،
وموت الشرف، والضعف، والتسلل.

وإن من عجائب حكمة الله أن جعل مع الفضيلة
ثوابها؛ من الصحة والنشاط، وحسن الأحداثة، وجعل مع
الرذيلة عقابها، من المرض، والحرطة، وسوء السمعة.

ولربّ رجل ما جاوز الثلاثين يبدو مما جار على نفسه
كابن ستين، وأبن ستين يبدو من العفاف كشاب دون
الثلاثين.

وبالجملة: فشرف النفس وزكاؤها يقودان إلى العفة
والتسامي، والمرءُ بين عاطفة تخدعه، وشهوة تتغلب عليه؛
فمتى لم يجد من عقله سائساً، ومن دينه وازعًا يصار عان
الميول، ويقاومان الضعف والهوى - وقع في الخطايا،
وانغمس في الشرور والرذائل.

وإن قوي على عصيان الهوى، والنفس، والشيطان،
والشهوة، وثبت في مواقف هذا الصراع الهائل - كان في
عداد المجاهدين، وترتب على انتصاره وفوزه جميع
المكارم، والفضائل التي تنتهي به إلى خيري الدنيا والآخرة.

١٠ - الإحسان إلى الناس: فبذلك تُرضي ربّك، وتُكتسبُ ودَّ إخوانك، وتنال الخيرات، وتهنأُ عليك البركاتُ؛ ذلك أن الإحسان إلى الناس شأنه جلل، وأمره عظيم.

ومن مظاهر ذلك: أن تعينَ زملاءك، وأن تفتح لهم صدركَ، وألا تبخل عليهم بإعانتِه، أو مشورة، أو نصيحة، أو تعليم أو مناقشةٍ، أو غير ذلك.

ومن ذلك: أن تحمل همَّهم، ولا تُحملهم همَّك، وأن تُحسن إليهم، وتغاضي عن هفواتهم، ولا تطالبهم بالمقابل؛ فإن ذلك دأبُ البلاء، وأدبُ الفضلاء، ومن تمت مروءَتهم، وكمل سُؤَّدهم، وتناهى فضلُهم، حتى إن ذلك السلوك ليروقُ كُلَّ الناس على اختلاف مشاربهم، بل إن أهل الجاهلية كانوا لا يعدلون بتلك الخلال شيئاً، وكانوا يُسمون من اتصف بها: «السيد المعمم» ويُعنون بذلك أن كل جنائية من جنائيات القبيلة معصوبةً بعمامتها، وبرأسه.

١١ - حافظ على أدب المحادثة: فلا تقاطع متحداً، ولا تستخفنَ بحديثه، أو تبادر إلى تكذيبه وتخطئه، ولا

تقم مِنْ عَنْدِهِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ مَا لَمْ تَسْتَأْذِنْ مِنْهُ، وَلَا تَنَازِعْهُ
الْحَدِيثَ أَوْ تُكْمِلْهُ إِذَا شَرَعَ فِيهِ، بَلْ أَقْبِلَ عَلَيْهِ بِوْجَهِكَ
وَسَمِعْكَ، وَأَصِخْ إِلَيْهِ وَلَوْ كُنْتَ قَدْ سَمِعْتَ حَدِيثَهُ مِنْ قَبْلِهِ؛
فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ مُّقَوْمَاتِ الْمَرْوِعَةِ.

وَإِيَّاكَ وَالْهُذْرَ، وَالْحَدِيثَ عَنِ النَّفْسِ عَلَى سَبِيلِ الْمَفَاخِرِ
وَالْأَسْتَطَالَةِ، وَلَا تَتَحَدَّثُ عَنْدَ مَنْ لَا يَرْغُبُ فِي حَدِيثِكَ،
وَلَا تَجْرِحُ مَشَاعِرَ الْآخَرِينَ، وَلَا تُواجِهُهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَ،
وَلَا تَتَحَدَّثُ بِمَا لَا يَنْسَابُ الْمَقَامُ، وَجَانِبِ التَّفَحُّشَ فِي الْقَوْلِ،
وَبِذَاءَةِ الْلِّسَانِ، وَذَكْرِ الْعَبَارَاتِ الَّتِي يَمْجُهُهَا الذُوقُ السَّلِيمُ.

وَلَا تَسْكُتُ فِي مَحْلِ الْحَاجَةِ، وَلَا تَرْفَعُ الصَّوْتَ بِلَا
دَاعٍ، وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةِ الْجَدْلِ؛ فَإِنَّهُ يَذْهَبُ بِالْبَهْجَةِ، وَيَجْلِبُ
الضَّغْنَيَّةَ، وَيَمْحُقُ الْمُودَاتِ، وَيَقْوُدُ إِلَى الْعَدَاوَاتِ.

وَاعْلَمُ أَنَّ لِلْلِسَانِ آفَاتٍ كَثِيرَةً؛ فَإِنْ أَطْلَقْتَ لَهُ الْعَنَانَ
قَادَكَ إِلَى الْهَلْكَاتِ، وَنَزَلَ بِكَ إِلَى حَضِيقَ الْدَرَكَاتِ.

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ

إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيراً

١٢ - قَيْدُ الْعِلْمِ بِالْكِتَابَةِ: فاحرص على كتابة ما تسمعه من تحقيق بحث، أو حكمة تشريع، أو نكتةٌ غريبة في بابها؛ أو قصة بدعة في موضوعها، أو نحو ذلك، كما كان عليه السلف؛ فَخَلَّدُوا النَا بِذَلِكَ ذَكْرًا لَا يَنْسَى.

ولا تكسل عن الكتابة بحججة أنك تعلم أن تلك الفائدة، أو هاتيك الشاردة في الكتاب الفلاني.

ومما يستحسن في ذلك أن تصطحب معك مذكرةً تضعها في جيبك؛ لتكتب بها خواطرك، وتفيس ما تسمعه؛ فإنَّ إهمالَ الفوائد خسارةً كبرى.

الْعِلْمُ صِيدٌ وَالْكِتَابَةُ قَيْدُهُ فاحفظ بها ما نلتَهُ بعناءِ

١٣ - تدَرُّبُ عَلَى الْخَطَابَةِ: فعَوْدِ نفسك على إلقاء الكلمات، سواءً أمام زملائك، أو أمام مدرسيك، أو في مجتمع الناس؛ فالخطابة من مقومات المروءة، ومن ضروب الشجاعة الأدبية، وهي مما يعينك على بث العلم، ونفع الناس.

فلا يقْعُدَنَّ بك الخوفُ عن اكتساب تلك الخصلة

الشريفة؛ إذ ليس من شرط الشجاعة ألا يجد المرءُ في نفسه الخوف من الكلام أو الإقدام؛ فذلك شعورٌ يجده كُلُّ أحدٍ إذا هو همَّ بعمل جديد أو كبير.

بل يكفي في شجاعة الرجل ألا يَعْظُمَ الخوفُ في نفسه، حتى يمنعه من الإقدام، أو يرجع به إلى الانهزام. فَتَقْ بِنَفْسِكَ، وَتَوَكَّلْ عَلَى رَبِّكَ، وَخُذْ بِالْأَسْبَابَ، فَأَعْدَّ لِلكلمة جيداً، خصوصاً في بداياتك، ثم وَطَّنْ نفسك على الصبر عند الصدمة الأولى، وإياك وتضخيم النتائج؛ فهبهْ أنك تكلمت مرةً فأخطأت أو لم تُحِدْ، ماذا في الأمر؟ لا شيء؛ فكُلْ أحد عرضةً للخطأ، بل إن الخطأ هو طريق الصواب؛ فلا تُعَظِّمْ شأن الخطأ في نفسك، ولا تبال بلمز الناس وعيهم؛ فالسلامة منهم عزيزةٌ المنال.

لِيْسَ يَخْلُوُ الْمَرءُ مِنْ ضَدٍّ وَلَوْ

حاول العزلة في رأس جَبَل

ثم انظر في عواقب الأمور؛ فهل ستدع اكتساب هذه الخصلة، وتعيش طوال عمرك وأنت لا تجيدها؟ أترك

الجواب، وأقول لك: بل عوّد نفسك، ودرّبها مرة بعد أخرى؛ حتى تألف الخطابة، وتعتادها، فتكون -بمشيئة الله- خطيباً مصدقاً تؤثّر في الناس، وتهزّ أعواد المنابر، لا تقيدك حُبْسَةً، ولا يثنيك جماح؛ و«إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم».

١٤ - لا تجعل الدنيا أكبر همك ولا مبلغ علمك: فلا تتألّم إذا أعرضت عنك؛ فلو عرَضْت لك لربما أشغلتك عن كسب الفضائل، وقلّما يتعمق في العلم ذو ثروة؛ فاصرف همك لطلب العلم خصوصاً في أوائل عمرك؛ فإن العلم زينتك وحليتك، فإذا تمكنت من العلم وشهرت به - خطبت من كل جهة، وجاءتك الدنيا ذليلة صاغرة.

ورحم الله الإمام الشوكاني إذ يقول:

الآن الفتى رب المعالي

إذا حققت لا رب الشراء

ومن حاز الفضائل غير وان

فذاك هو الفتى كل الفتاء

فما الشرف الرفيع بحسنِ ثوبٍ
 ولا دارٌ شَيْدَةُ الْبَنَاءِ
 ولا ينفوذ قولٍ في البرايا
 فإن نفوذه أصلُ الْبَلَاءِ
 فرأس المجد عند الحرّ علمٌ
 يجود به على غادٍ وجائي

١٥ - واعلم ثمَّ اعلم فضلَ العلم: فإن للعلم عبقاً وعرفاً
 ينادي على صاحبه، ونوراً وضياءً يُشرقُ عليه، ويidel الناس
 إليه، كتاجر المسك لا يخفى مكانه، ولا تُجهل بضاعته.

والعلم زينة أهله بين الورى

سيان فيه أخو الغنى والمُعْدَمُ

لا فخر في نسب لمن لم يفتخر

بالعلم لولا الناب ذلَّ الضيغَمُ

وأخو العلا يسعى فيدرك ما ابتغى

وسواه في أيامه يَتَظَلَّمُ

والخاملون إذا غدوت تلومهم
 حسبوك في أسماعهم تَرْنُم
 في الناس أموات كأحياء الوغنى
 وخز الأسنة فيهم لا يؤلم
 فاصدم جهالتهم بعلمك إنما
 صدم الجهالة بالمعارف أحزم
 وأملاً فؤادك رحمة لذوي الأسى
 لا يرحم الرَّحْمُونَ من لا يرحم

ورحم الله ابن الوردي حين قال:
 اطلبِ العلم ولا تكسلْ فما
 أبعدَ الخيرَ على أهلِ الكسلْ
 في ازديادِ العلم إرغام العدا
 وجمالُ العلم إصلاحُ العمل
 لا تقل قد ذهبت أربابُه
 كلُّ من سار علىِ الدربَ وَصَلَ

ورحم الله الإمام الشافعي إذ يقول مبيناً عظيم اغتابه
بالعلم، وتلذذه به:

سهرى لتنقیح العلوم الذلي
من وصل غانية وطیب عناق
وصریر أقلامي على صفحاتها
أحلى من الدوکاء والعشاق
وأذ من نقر الفتاة لدفها
نكري لألقى الرمل عن أوراقی
وتمايلی طرباً لحل عویصة
في الدرس أشهى من مدامه ساقی
وابیت سهران الدجی وتبیته
نوماً وتبغی بعد ذاك لحاقی
ورحم الله السبکی إذ يقول :
لأسرار آيات الكتاب معانٍ تدقق فلا تبدو لكل معانٍ

إذا بارق قد لاح منها بخاطري همم قرير العين بالطيران

١٦ - الزم التوسط: وتجنب الغلطة والشدة، وإياك والتخاذل والرخاوة الزائدة، فخير الأمور الوسط الذي لا وكس فيه ولا شطط؛ فـ :

عليك بأوساط الأمور؛ فإنها

نجاة ولا تركب ذلولاً ولا صعباً

ومن أعظم التوسط: لزوم الاعتدال، والبعد عن الغلو، ومسالك الغالين الجُفاة الذين قلّ نصيبيهم من العلم، ونَضَبْ معينُهم من تدبر العواقب والمالات؛ فركبوا متن عمياء، وساروا سيرة عوجاء، لا بصيرة فيها ولا اهتماء؛ فصاروا عالةً على أهليهم، وأوطانهم.

وما ذاك إلا لأنهم نأوا عن سبيل الوسط الآمن.

١٧ - لا تترفع بحث تُستقل، ولا تتنازل بحث تُستخس
وتستحرق: واعلم بأن السلامة أن تنجو من دائين قاتلين: أحدهما الغرور، وثانيهما المبالغة في احتقار النفس؛ فالإنسان السوي الذي ينظر الأمور كما هي - هو ذاك الذي

يسير على حد الاعتدال؛ فلا يُغْرِي بما عنده من ذكاء، وعلم وقوّة، فيزعم لنفسه كل فضيلة، ويتطاول بغروره إلى كل منزلة.

ولا يركن في الوقت نفسه إلى جوانب الضعف فيه، فيقوده ذلك إلى أن يَحْتَقِرْ نفسه، ويُزدَرِي إمكاناته ومواهبه، فيَقْعُدَ عن كل فضيلة، ويعيش في هذه الحياة كأنه همُّ مضاعٌ، أو لَقَى مُزْدَرًى.

١٨ - تجنب الواقعية في الناس: واجعل كلامك ربانياً لا ينفك - في الغالب - من قرآنٍ، أو سنةٍ، أو حكمةٍ، أو بيتٍ نادرٍ، أو مثل سائرٍ، أو نحو ذلك.

١٩ - اغتنم زهرة العمر وميعة الصبا: فإنها فرصة، والعاقل من يبادر الفرصة؛ حتى لا تضيع، فيندم ولا ت ساعة مندم.

بادر الفرصة واحذر فوتها	فبلغ العز في نيل الفرض
فابتذر مسعاك واعلم أنَّ مَنْ	بادر الصيد مع الفجر فَصُ

٢٠ - ليكن سرك خيراً من علانيتك: واعلم أن الناسَ

عيون الله على العبد، وشهوده على من في الأرض، يريهم
 - خير العبد وإن أخفاه، وشره وإن ستره؛ فباطنه
 مكشوف لله، والله يكشفه لعباده؛ فمن أخفى خبيئة ألبسه
 الله ثوبها، ومن أضمر شيئاً أظهره الله عليه؛ فالجزاء من
 جنس العمل، و﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]؛
 فليكن باطنك خيراً من ظاهرك، وسرّك أصبح من
 علانيتك.

٢١ - إياك والحسد والحقد: فإن اتصفت بذلك فأنت
 الخاسر الأول، وإن سلمك الله منه فزت وأفلحت.

٢٢ - سلامة الصدر: فعليك بسلامة الصدر، وحبّ
 الخير للآخرين، والتودّد لهم، و مقابلتهم بوجه طلق،
 ولسان رطب، دونما بحث عما تكّنه صدورهم، وتنطوي
 عليه سرائرهم.

٢٣ - لا تيأسن من استصلاح النفس: ولا تقل جلبتُ
 على خصلة سيئة؛ فلا أستطيع الفكاك منها، لا، بل إن
 الإصلاح ممكّن، والتغيير وارد، إذا أخذت بالأسباب،

ودخلت البيوت من الأبواب، وحرست على تزكية نفسك، وجاهتها في ذات الله، ﴿وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِيَا لَنَهَدِ يَنْهَمُ سُبُّلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٤٤ - إياك والتقليد الأعمى: وأقبح ما في ذلك تقليد الكفار والفساق في توافة الأمور، ومستهجن العادات، ومرذول الأخلاق؛ كتقليلهم في نحو الملبس، وقصات الشعر، وطريقة الأكل، ونحو ذلك.

فالملدون على هذا النحو يزيدون أمتهم وهنا على وهن، ويكونون كالعثرات تعترض طريق نهوضها، أو تجعله - في الأقل - بطئاً.

ومتى كثر في الناس أمثال هؤلاء الذين لا يميزون في محاكاتهم السيئة من الحسنة - أو شكت الأمة أن تفقد هدايتها، وتتجدد من معاني أصالتها وعزتها.

ولا تفلح أمة نكثت يدها من الدين الحق، ولا يعتز قوم نظروا إلى أصالتهم، وتاريخهم المجيد بازدراء، ولا يقدّم على هذه التبعية المقيمة، والتقليد الأعمى إلا من تدأّر

الذلة، وسهل عليه الهوان؛ وإنما العزيزة هي التي تعرف مقدار ما تأخذ، ومقدار ما تعطي، ونوع ما تأخذ، ونوع ما تعطي، فتفرق بين محاكاة الأجنبي المحمودة، ومحاكاته المنبوذة، سالكة بذلك طريقاً وسطاً، يكفل سعادة الأولى والآخرة.

وهكذا كان حال المسلمين لما كانوا متمسكين بالدين القويم؛ حيث ساسوا العالم، ودانت لهم أمم الأرض.

كنا بدور هدايةٍ ما من سنٍ
إلا ومن أنوارها يُستوقدُ
كنا بحور معارفٍ ما من حلٍ
إلا ومن أغوارها يُتصيدُ
ما صرصرت أقلامنا في مهرقٍ
إلا رأيت الدرَّ كيف ينضدُ
من كل معنى يبهر الألباب أو
نَسْجٌ يقوم له البليغُ ويقعدُ
ويقوم فينا للخطابةِ مِصْقَعٌ
آوى إلى الحرُم الذي لا يشهد
فتري بنات الفكر كيف تَولَّدُ
ومن احتمى بطرافنا السامي
لو لم يسروا إثْرَنَا لم يصعدوا
لا يمتري أهل التَّمَدُّن أنهم
من أمةٍ إلا لنا فيها يُدْ
فسلوا متى شئتم سَرَاطَهُمْ فما
تشفي غليلاً حَرُّه يتصعدُ
أبناء هذا العصر هل من نهضة

٢٥ - إياك وصحبة الأشرار: فَصُحْبُتُهُمْ خَرَّيْ وَعَارِ،
وَذَلَّةٌ وَشَنَارٌ، لَا خَيْرٌ فِيهِمْ، وَلَا نَفْعٌ يَرْجِى مِنْ وَرَائِهِمْ؛ إِذْ
كَيْفَ يَنْفَعُونَكَ وَهُمْ لَمْ يَنْفَعُوا أَنفُسَهُمْ؟!
قَدْ هَيْوَكَ لِأَمْرٍ لَوْفَطَنْتَ لَهُ

فَارْبِأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ الْهَمِّ
وَكُنْ مَعَ الْخَلْقِ مَا كَانُوا خَالِقُهُمْ

وَاحْذِرْ مَعَاشِرَةَ الْأَوْغَادِ وَالسَّفَلِ

فَالإِنْسَانُ يَلْزَمُهُ شَرْعًا وَعَقْلًا أَلَا يَجَالِسُ إِلَّا الْمُصْطَفَينَ
الْأَخْيَارِ، وَأَنْ يَرْبِأْ بِنَفْسِهِ عَنْ مَقَارِبَةِ أَهْلِ السُّفَاهَةِ وَالْبَطَالَةِ؛
فَيَجْتَهِدُ فِي اخْتِيَارِ الْأَصْحَابِ، وَمَجَالِسَةِ ذُوِي الْأَلْبَابِ،
وَيَجْتَنِبُ مَخَالِطَةَ الْفَجَارِ، وَيَعْتَزِلُهُمْ اعْتِزَالَ الْمَنْهَجِ الرَّدِيِّ؛
لَأَنَّ كُلَّ قَرِينٍ بِالْمَقَارِنِ يَقْتَدِي.

وَلَا يَنْفَعُ الْجَرَبَاءَ قَرْبُ صَحِيحَةٍ

إِلَيْهَا وَلَكِنَّ الصَّحِيحَةَ تَجْرُبُ

٢٦ - ﴿ وَبِالْوَلَدَيْنِ إِخْسَانًا ﴾: فَإِذَا أَرْدَتِ الْعَزَّ وَالْفَلَاحَ

فعليك ببر والديك، والسعى في مرضاتهما، والتذلل لهما، والفرح بأوامرها، والحرص على ما يسرهما - تُفتح لك أبواب الخير، وتتلن سعادة الدارين، وإن كان أحدهما أو كلاهما ميتاً فأكثر له من الدعاء والاستغفار، وكن صالحاً بنفسك يستجب دعاؤك لهما.

٢٧ - إياك والتسويف: فلا تؤجل عمل اليوم إلى غد، بل احسن أعمالك أولاً فأولاً، وقم بما يسند إليك على أتم وجه، ولا تحقر شيئاً من عمل غد لأن تعجله اليوم وإن قل.

فلا تقاعد إن تلخ لك فرصة

ولا تزدر الشيء الحقير وإن هنا

ورحم الله الرافعي إذ يقول:

المرء يُمنى بالرجا واليأسِ

ويضيع بينهما ضعيفُ الباسِ

فإذا عزمت فلا تكن متربداً

فسد الهوى بتردد الأنفاسِ

وإذا استعنت بالتجارب إنها
 للنفس كالأضراس للأضراسِ
 وعلام ترجو الناس في الأمر الذي
 يعنيك أنت وأنت بعض الناس
 النفس قوس والعزم سهمها
 فارمِ الرجا من هذه الأقواسِ
 وأضئ حياتك بالمعارف إنما
 هي في ظلام العمر كالنبراسِ
 واجعل أساسَ النفسِ حبَ اللهِ إذ
 لا خير في الدنيا بغير أساسِ

٢٨ - الحياة الحباء: فهذا الخلق إذا غرُّز في النفس،
 ونمَت عروقه فيها ازداد رونقها صفاءً، ونفض على ظاهر
 صاحبه مآثرَ خَيْراتِ حِسانِ.
 وإذا انتزع من شخص فقدَ فقدَ المروءة، وثَلَّ الديانة
 التي هي الجناح المبلغ لكلِ كمال؛ ذلك أنَّ الحياة خلق

يبعث على فعل الجميل، وترك القبيح، وهو عبارة عن انقباض النفس عما تذم عليه، وثمرته ارتداعها عما تنزع إليه الشهوة من القبائح.

فإذا تمزق ستر هذه الفضيلة بغلبة الشهوة على النفس اختلت هيئة الإنسان بالضرورة، وبقي صاحبها سائماً في مراتع البغي والفسوق، وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان. وبالجملة فالحياة كله خير، والحياة لا يأتي إلا بخير، والحياة خلق الإسلام، والحياة شعبة من شعب الإيمان، كما صحت بذلك الأخبار عن النبي - عليه السلام - .

ولئن كان الحياة جليلًا، فإنه يزيد ويتأتى بالأخذ بالأسباب، ومنها مطالعة أخلاق الكمال، واستحضار مراقبة الله؛ فمن ذلك يتولد الحياة؛ إذ كيف يتقلب في نعمه، ويستعين بها على معصيته؟! فإذا شعر العاقل بذلك استحيا من الله.

ومن ذلك: تذكر الآثار الطيبة للحياة، والآثار القبيحة للقبحة والصفاقفة.

ومن ذلك: مُجاهدة النَّفْسِ عَلَى الْحَيَاةِ، وَتَدْرِيْهَا عَلَى اكْتِسَابِهِ.

فإذا اتصف المرء بالحياة قرب من الكمال، ونأى
بنفسه عن النقاد.

٢٩ - تقبل النقد البناء والنصيحة الهدافة: فلا تستكبر أو تستنكف عن قبولها من أي أحد، بل تقبّلها بصدر رحب، ونفس مطمئنة.

٣٠- عليك بالصدق: فهو دليل على سموّ النفس،
ويبعد الهمة، وحسن السيرة، ونقائص السريرة، ورجحان
العقل، وتمام المروءة.

وبالصدق يشرف القدر، ويصفو البال، ويطيب العيش.

عوّد لسانك قول الصدق تحظى به

إِنَّ اللِّسَانَ لَمَا عَوَّذْتُ مُعْتَادُ

٣١- الإخلاص للإخلاص: فإن للإخلاص شأنًا جلًّا، وتأثيرًا عظيمًا، فمن تَعَكَّسْتَ عليه أمره، وتضييقْتَ عليه مقاصده - فليعلم أنه بذنبه أصيب، وبقلة إخلاصه عوقب.

فالإخلاص يرفع شأن الأعمال حتى تكون مراقي للفلاح، وهو الذي يحمل الإنسان على مواصلة عمل الخير، وهو الذي يجعل في عزم الرجل متانةً، ويربط على قلبه فيمضي إلى أن يبلغ الغاية.

فلولا الإخلاصُ يَضُعُهُ اللَّهُ في نفوس زاكياتِ لحرم الناسُ من خيراتِ كثيرةٍ تقف دونها عقباتُ.

٣٢ - الزم الشوري: وإياك والاستبداد؛ فإنه بئس الاستعداد، واستشر الأماء الأتقياء، واستتر برأيهم.

قال - ﷺ - في وصف المؤمنين: «وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَنَّهُمْ»

[الشوري: ٣٨].

واعلم بأن للشوري فوائد عظيمة، ومنها تقريب القلوب، وتخلص الحق من احتمالات الآراء، واستطلاع أفكار الرجال، ومعرفة مقاديرها؛ فإن الرأي يمثل لك عقل صاحبه كما تمثل لك المرأة صورة شخصه إذا استقبلها. وقد ذهب الحكماء من الأدباء في تصوير هذا المغزى مذاهب شتى.

قال بعضهم:

إذا عنْ أمرٍ فاستشر فيه صاحبًا
وإن كنت ذا رأي تشير على الصحبِ
فإنني رأيت العين تجهل نفسها
وتدرك ما قد حل في موضع الشهب

وقال آخر:

اقرن برأيك رأي غيرك فالحق لا يخفى على الإثنين
والمرء مرأة تريه وجهه ويرى قفاه بجمع مرأتين
وقال آخر:

الرأي كالليل مسودًا جوانبه
والليل لا ينجلِي إلا بإاصلاح
فاضمِم مصابيحَ آراء الرجال إلى
مصابح ضوئك تزدد ضوء مصابح

٣٣ - ﴿أَقِيرُ الْعَلَوَة﴾ : فالصلاۃ قرۃ عیون المحبین فی هذه الدنیا؛ لما فیها مِنْ مناجاة مَنْ لَا تَقْرَأُ العیون إِلَّا بِهِ، وَلَا تطمئن القلوب إِلَّا بِذکرِهِ، وَلَا تسکن النفوس إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا تحلو الحياة إِلَّا بالقرب منه، والخضوع والتذلل له؛ فالمحب راحتھے، وقرۃ عینه فی الصلاۃ؛ فاحرص علیٰ إقامتها علیٰ هیئاتها، وأركانها، وواجباتها، وسننها، واحرص علیٰ الخشوع فیها تسل من الخیر بقدر حرصك علیٰها.

٣٤ - ﴿وَأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا عَنِ الْمُنْكَر﴾ : حسب قدرتك وطاقتک، مراعیاً الحکمة فی شأنک کله.

٣٥ - ﴿وَرَتَلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ : فاحرص کل الحرص علیٰ حفظ القرآن، وتدبّره، والعمل به، وأکثر من تلاوته آناء اللیل وآناء النهار؛ فهو مأدبة اللہ فی أرضه، وهو الذي يهدي للتي هي أقوم، ويدفع إلی الکمالات، ويملا النفوس بِعَظَمِ الْهِمَّةِ، وهذا العِظَمُ هو الذي قَذَفَ بأولیائه ذات الیمنین وذات الشمائل، ففتحوا القلوب والبلاد، وفَجَرُوا أنهار العلوم تفجیراً.

وإذا رأينا من بعض قرائه همّا ضعيفةً، ونفوساً خاملةً
- فلأنهم لم يتذروا آياته، ولم يتفقروا في حكمه.

وكتاب ربك إن في نفحاته

من كل خير فوق ما يتوقع

نور الوجود وأنس كل مرؤ

بكر وبه ضاق الفضاء الأوسع

والعاكفون عليه هم جلساء من

لجلاله كل العوالم تخضع

فادفن همومك في ظلال بيانه

تَحُلُّ الحياة وتطمئن الأضلع

فبك كل حرفٍ من عجائب وحيه

نبأ يبشر أو نذير يقرع

٣٦ - وخلق الناس بخلق حسن: وجماع ذلك أن تصل

من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عن ظلمك، ﴿خُذِ
الْعَفْوَ وَأْمِرْ بِالْمُعْرِفَةِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف] ١٩١.

٣٧ - ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ وَإِنْ رَبِّكَ فَأَرَغَبْ ⑧﴾ : فإذا خلوت من التَّعْلُمُ، والتَّفْكِيرُ، والأَعْمَالُ - فَحَرِّكْ لسانتك بذكر الله، وشகره، واستغفاره، ودعائه، وتسبيحه، وخاصة عند النوم؛ كي يتشربه لبُّك، ويتعجن في خيالك، وتتكلّم به في منامك.



أخي العزيز المبارك:

لقد أطلتُ عليك، وما ذاك إلا لأنني أعرف من أخاطب،
ولو خاطبتك غيرك لما خاطبته هكذا، ولما طالبته إلا بالقليل
مما مضى، بل إن في جعبي مما لم أقله أكثر وأكثر، ولكن
كما قال أبو الطيب:
وفي النفس حاجاتٌ وفيكم فطانةٌ

سکوتی بیانٌ عندها وخطابٌ

فأسأل الله ألا يُخَيِّبَ ظني فيك، وأن يجعلك فوق ما
أظن، وألا أراك في كل حين إلا وأنت أفضل من ذي قبل.
هذه كلماتٌ أحْبَبْتُ كتابتها إليك، عسى الله أن ينفعني
بها وإياك.

فإِذَا مَا قَصَرْتُ أَقْلَامُنَا فَالذِي قَدْ حَلَّ فِي الصُّدُرِ مِنْ وَدٌ يَكْفِي عَنْ كَثِيرٍ إِعْتِذَارٍ وَأَخِيرًا: لَا يَسْعُنِي وَأَنَا أَضْعُ يَدِي عَنْ شَبَّابِ الْقَلْمَ إِلَّا أَنْ أَسْأَلُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى، وَصَفَاتِهِ الْعَلَى - أَنْ يَجْعَلَكَ مِنْ أُولَيَّاهُ وَأَصْفَيَاهُ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مَبَارِكًا أَيْنَمَا كُنْتَ،	عَنْ حَقُوقِ الْأَخْلَاءِ كَبَارٍ
---	--

وأسئله أن يُقرَّ أعيننا برؤيتك عالِمًا من علماء المسلمين،
 وأن يقرَّ عين والديك بصلاحك وفلاحك وبرك؛ إنه ولِي
ذلك القادر عليه.

وقبل أن أودعك أسوق لك هذه الأبيات التي تصف
حال الطالب النجيب:

باكِرَتْ تجْنِيُ الْعِلْمَ كُلَّ صَبَاحٍ
 وَنَبَذْتَ أَهْلَ بَطَالَةَ وَطَلَاحٍ
 فِي هَمَةٍ وَقَادِيٍّ وَعَزِيمَةٍ
 لِيَسْتَ بِذَاتِ خَلَابَةَ وَمَزَاحٍ
 لَا تَصْطَبِيكَ الْغَانِيَاتِ بِزَينَةٍ
 كَلَا وَلَا الصَّهَبَاءُ فِي الْأَقْدَاحِ
 عَنْدَ الْمُصِيَّةِ لَسْتَ ذَا جَزْعٍ وَلَا
 عَنْدَ الْمُسْرَةِ بِالْفَتَىِ الْمُفَرَّاحِ
 تَلَقَىَ الصَّحَابَ بِكُلِّ وَدٍّ خَالِصٍ
 تَبَدِيهِ صَفَحَةُ وَجْهِكَ الْوَضَاحِ
 وَعَلَيْكَ مِنْ خَلْعِ الْحَيَاءِ
 سَكِينَةٌ وَمَهَابَةٌ مَقْرُونَةٌ بِسَمَاحٍ
 إِنْ جَنَّ لِيلٌ قَمْتَ فِي غَسْقِ الدَّجْنِ
 وَطَرَقْتَ بَابَ إِلَهِكَ الْفَتَاحِ

تتلو الكتاب برقةٍ وتَدْبِيرٍ
 تدعو بقلب الخاشع الملحم
 ولربما طال الدعاءُ وأذنت
 بوداعٍ ليك غرفةُ الإصلاحِ
 أما أنيسك فهي كُتب قد حوت
 علمًا يُمْدُدُ أولي النهى بسلاح
 نعم المؤيدُ للتقىٰ وذى الحجا
 نعم المؤنسُ للفتى الطمَاح
 وصحابك الأخيار لا تبغي بهم
 بدلاً، فهم جندٌ من الأرواح
 ما ودهم مذقٌ، ولا أقوالهم
 هذرٌ، ولا أفعالهم بقابح
 وإذا سألت فَسُؤل من يعيي الهدىٰ
 لا سؤل غطريسٍ^(١) ولا بوقاح

(١) الغطريس: المتكبر، المعجب بنفسه.

وإذا نطقت فمنطق العقلاء لا
 هُجْر يشين ولا بقول اللاحي
 أدب وإنصاتٌ، ولين عريكة
 وتعاملٌ بالنَّصف والإسجاح
 كرمٌ وطيبٌ سريرةً وتودُّدٌ
 ومائرٌ بيضٌ وخفضٌ جناح
 حزت العلا والمجد من أطرافه
 فكأنما وشَّخته بوشاح
 يا أيها الغطريف^(١) لا تركن إلى
 دعَةٍ، ولا تحفل بطيب مراح
 من للخطوب وقد غشت وتواترت
 وأدت مع الإمساء والإاصباح
 كيف الفلاح لأمة مرزوعة
 لا تستجيب لحكمة النُّصائح

(١) الغطريف : السيد الشريف السخي ، الفتى الشاب .

إن أنت آثرت السلامة قانعاً
 بالدون لا تسعى لنيل فلاح
 يا أيها النحير، شمّر واجتهد
 هذى العلا فانزل لها في الساح
 أنت المؤمل بعد لطف إلها
 في كشف غمتنا وبرء جراح
 بالعلم بالتقوى بنشر للهدا
 بالسعى بين الناس في الإصلاح
 أوتيت أنوار الهدى فحذار أن
 تطغى فتلقى في الردى يا صاح
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
 وآخر دعواانا أن الحمد لله رب العالمين ، والله أعلم ،
 وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآلـه وصحبه أجمعين .



الفهرس

٧	المقدمة
٩	رسالة إلى طالب نجيب
١٠	١ - التقوى
١١	٢ - الصبر والمصابر، والجد والمثابرة
١٣	٣ - تمجيل المعلّمين واحترامهم
١٧	٤ - سلامة الذوق
٢٠	٥ - الحرص على الاستفادة
٢٢	٦ - المحافظة على الوقت
٢٢	٧ - علو الهمة
٢٣	٨ - شرف النفس
٢٤	٩ - العفة العفة
٢٦	١٠ - الإحسان إلى الناس
٢٦	١١ - حافظ على أدب المحادثة
٢٨	١٢ - قيّد العلم بالكتابة
٢٨	١٣ - تدرّب على الخطابة

- ١٤ - لا تجعل الدنيا أكبر همّك ولا مبلغ علمك ٣٠
- ١٥ - واعلم ثم اعلم فضل العلم ٣١
- ١٦ - الزم التوسط ٣٤
- ١٧ - لا تترفع بحيث تستقبل، ولا تتنازل بحيث تستحسن
وستتحقق ٣٤
- ١٨ - تجنب الواقعية في الناس ٣٥
- ١٩ - اغتنم زهرة العمر وميزة الصبا ٣٥
- ٢٠ - ليكن سرُّك خيراً من علانيك ٣٥
- ٢١ - إياك والحسد ٣٦
- ٢٢ - سلامه الصدر ٣٦
- ٢٣ - لا تيسأن من استصلاح النفس ٣٦
- ٢٤ - إياك والتقليد الأعمى ٣٧
- ٢٥ - إياك وصحبة الأشرار ٣٩
- ٢٦ - ﴿وَبِالْوَلَدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ٣٩
- ٢٧ - إياك والتسويف ٤٠
- ٢٨ - الحياة الحباء ٤٠
- ٢٩ - تقبّل النقد البناء والنصيحة الهدافة ٤٣

٣٠ - عليك بالصدق	٤٣
٣١ - الإخلاص للإخلاص	٤٣
٣٢ - الزم الشورى	٤٤
٣٣ - ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾	٤٦
٣٤ - ﴿وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾	٤٦
٣٥ - ﴿وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾	٤٧
٣٦ - وخالف الناس بخلق حسن	٤٦
٣٧ - ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَيْ رَبِّكَ فَارْجِعْ ﴿٨﴾﴾	٤٨
أخي العزيز المبارك	٤٩
وأخيراً	٤٩
الفهرس	٥٥

